الفطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهوانى أن هذا المستشرق لو عرف رسالة القابسى لغير هذا الرأى الخاطىء ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) . هذه الرسالة التى — كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث — وضع بها القابسى مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعليم الإلزامى وتعليم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشير إلى أمرين :

(ا) استعمل فى مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) . والمعروف أن أهل السنة فى المقام الذى جاء ذكرهم فيه ، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة ، لا أصحاب الحديث ، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والمتكلمين

(ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالى عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم فهو كافر ... ومع أن هذا ، كما ذكر الأستاذ ، ورد فى فيصل التفرقة للغزالى ، إلا أنه كان الواجب فى رأيى أن يأتى الأستاذ بنص فى ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم ، لا من خصم لهم ، ولكنا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض . وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضييق على الناس فى وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضى أبى بكر الباقلانى الذى ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ؛ حتى جاء إمام الحرمين الجُوَيْنى وأعرض عن هذا الرأى ، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدى إلا بطلال المدلول بحال .

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما يغض من قيمة هذه الرسالة القيمة التى عالج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددها — فى القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ننتظره من الدكتور الأهوانى الذى تخصص فى هذا الموضوع زمنا طويلا .

محمد يوسف موسى

مرايا الناس (*)

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السيدة وداد سكاكينى ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً فى الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسست بالجهد الذى أنفقته والعناية التى بذلتها فى صقل جملها لتكون على أجمل وأكمل ما يتراءى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها فى نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد المرحومة الآنسة « مى » بين كاتبات العربية فى هذا العصر . بل هى ميزة تمتاز بها على قريناتها خصوصاً فى معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه السيدة الفاضلة ما كتبت فى مستهل حياتها من قصص فى كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارىء هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكتّاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه فى هذه المجموعة أنها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألمس الحقيقة إذا قلت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة فى كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأمثالها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحام ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفتّ هذه المجموعة من القصص فجاءت ضيقة الحدود ، متعرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو غير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ، وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع فى ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر

الجياشة صدور أدبائه بالطموح إلى الخروج عن الطوق ، وإثبات الشخصية ، والسادرة أقلام نقاده فى جنان من المديح والثناء المأجور ، أقول إنها ستعنى كثيراً بعرض موضوعها القصصى ومعالجته وتحليل شخصيات القصة ، وتسلسل الحوادث، وبالعقدة والخاتمة، وبالمحافظة على عنصرى الصدق والتشويق،وإلى خصائص مقررة لا محيد ألبتة عن التزامها فى بناء القصة . أما مجموعتها هذه فهى غنية بالصور الوصفية ، وقد تكون قصة « شقيقة نفسى » من أغناها ، لأن بناءها قائم على رسم تطور حياة فتاة ، هى حياة المؤلفة الخاصة قالت :

« وقد مرت الأيام على « وئام » فألقت بها فى لجة الحياة ، وكأنها كانت تقول لها : حاولى النجاة ... فلاحت لها الدنيا بوجهها ، ورأت فيها الحمامة الوديعة والحية الرقطاء . ثم فتحت كتاب الناس فراعها أن لم تجد فيه صفحة مما تعلمته فى المدرسة، وندمت على شباب نسجته بالمثل العليا ، فأخذت تتمرس بآفات المجتمع غير منطوية على يأس ، ولا متقنعة بمصانعة »

ثم تقول « وأسدل الستار على فصل من رواية عمرها ، فاذا هى فى فصل جديد ، وإذا بها ككل أنثى تنضو عنها فتوة جاهدة، وتروز تبعات جديدة ، فتشيع قافلة من السنين تجاوز العشرين ، وينبثق حجاب الزمان عن سر الغد القريب ، فاذا بها تجلى فى طلعة دنياها التى خلقت من أجلها كل أنثى ».

أحيى السيدة وداد تحية الولاء والصداقة ؛ وأرجو أن تحملنى مجموعة قصصها التالية على الوقوف عند كل قصة وقفة النهم من موائد مترعة الكؤوس بخمرة الحياة .

شخصيات ومذاهب فلسفية*

من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

من طبيعة الأدب شعره ونثره أنه سهل الدخول إلى النفس فى يسر ولين لاعنف ولامشقة . وأن النفس تقبل عليه بدافع منها ، راضية عنه مقبلة عليه مستأنسة إليه .

أما الفلسفة فلا يقبل عليها من الناس إلا من رُزق الصبر عليها والأنس بها . وقلما كانت الفلسفة أنيسة إلى النفوس لأنها كالسباع من الحيوان لايقدم عليها إلا من رزق القدرة على ترويضها وتأليفها .

والفلاسفة والمشتغلون بالفلسفة مسئولون عن هذا النفور الذى يعانيه الجمهور من القراء . ولا أدرى ماذا كانت حجتهم فى الأبهام وعذرهم فى التعمية . وهل فعلوا ذلك عن قصد حتى تبقى للفلسفة رهبة الغموض وهيبة الخفاء ؛وحتى يكون لهم وحدهم مفتاح الأسرار والاستئثار بالأستار ، أم جاءهم ذلك الغموض من طبيعة الفلسفة نفسها لأنها تبحث وراء « المجهول » « وما بعدالطبيعة » وما إليهما مما أبدىء الكلام فيه وأعيد ولا يزال المجهول مجهولا ؟

والحق أن كثيراً من موضوعات الفلسفة — وخاصة عند المسلمين لا يفيد القارىء أكثر مما يتعب ذهنه ويحير عقله — كالكلام فى النفس ووحدتها وبقائها ؛ وكالكلام فى الكون وهل هو حادث أم قديم ، وكالكلام فى معرفة الله للجزئيات أو الكليات ، وكالكلام فى البعث وهل هو لأجسام الدنيا بأعيانها أم بأمثالها .

وقد ظل الفلاسفة يبحثون فى هذا وأشباهه فما أراحونا ولا أراحوا أنفسهم ، ولا أزاحوا الستار عما تتحرق نفوسنا إلى معرفته وتتطلع إلى كشفه . حتى لقد مات الرازى وهو لا يدرى إلى أين ... وعبر عن ذلك بقوله فى بيتين يعبران عن سؤال كل نفس من عهد آدم إلى أن يشاء الله ، وهما :

لعمرى ما أدرى وقد آذن البلى ... بعاجل ترحال إلى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجها ... من الهيكل المنحل والجسد البالى

ولقد أراح — والله — خطيب أياد وحكيمها «ابن ساعدة» نفسه حينما قال قبل الإسلام :

لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها ... يمضى الأصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محا ... لة حيث صار القوم صائر ...

ولقد ألهم الله الجمعية الفلسفية المصرية صوابا فى القول حين قالت فى تصدير أول كتاب من كتبها « وإذا أراد الله بالفلسفة خيراً ألهم أهلها أن يسلكوا سبيلا أخرى ، فيعنوا بالشئون الإنسانية ، وبالأمور التى يتجه إليها التفكير فى كل زمان ومكان ، ويعالجوا بحوثهم فى أسلوب سائغ جذاب يفتح باب الفلسفة على مصراعيه لجمهور المثقفين » .

أما العناية بالشئون الإنسانية فنجد أن الدكتور على عبدالوحد وافى قد هدف إليها فى رسالته الجليلة « الأسرة والمجتمع » التى تعد بحق تحفة فى المكتبة العربية . ونجد أن أساتذة آخرين سيكتبون فى سلسلة هذه الجمعية عن الحياة الأخلاقية ، والتشريع

(*) للدكتور عثمان أمين مدرس الفلسفة بكلية الآداب — مطبعة الحلبى .

والإصلاح الاجتماعي . وأمثال هذه الموضوعات التي تتناول الواقع والحياة ، ولا تطير وراء النبيات والمجهولات ...

ولكن الدكتور عثمان أمين — وهو شريك الدكتور على عبد الواحد وافى فى كتابة تصدير هذه السلسلة — ترك العناية بالشئون الإنسانية من أخلاق وسياسة واجتماع وراح إلى الفلسفة يلتمس عندها سدّ النقص فى القوة الإصلاحية والروحية . لأنه يرى أن (كل إصلاح تم فى الماضى أو سيتم فى المستقبل إنما هو أثر من آثار الفلاسفة وأحرار المفكرين) .

وما كان الأنبياء يا صديقى فلاسفة ولا أحرار تفكير ولكنك لا تنكر الإصلاح الذى تم على أيديهم :

على أن اكتفاءك بالكلام فى الشخصيات الفلسفية وتركك التأليف فى الشئون الإنسانية — كما صنع الدكتور على عبد الواحد — يُعدُّ ركونا إلى أهون الحلين وأخف العبئين ...

إلا أنى لا أكتمك أنى وجدت فى كتابك لوناً من المتعة واللذة عرفتُه من قبل فى كتابك عن « محمد عبده » . ووجدت فى أسلوبك الواضح السائغ أخذا بما عاهدت أنت ورئيس الجمعية فى تصدير كما لأول كتاب .

وما أنا بقائل هنا لك جديداً ؛ فقد كنت أقرؤك فى مجلة « المقتطف » من سنوات فأجد فيك من الوضوح ما صارحتك به من حين إلى حين . وهأنذا اليوم أقرؤك فأجدك سائغ الأسلوب فى سقراط ، وفى الثلاثة الفلاسفة المسلمين الذين شئت أن تكتب عنهم ، وفى ديكارت وهيوم من الغربيين .

ولا أدرى يا أخى السر فى اختيارك هؤلاء الثلاثة من المسلمين بأعيانهم مع كثرة ما كتب عنهم ونشر فيهم . فهلاّ كتبت عن ابن زهر والرازى وابن بطلان أو غيرهم مما لا يعرف الناس عنهم إلا قليلا . ولم تختار طريقاً معبّداً وأنا ما عرفتك ألا مجتاز الصخور والوعور ؟؟

وهل بين الذين كتبت عنهم غرض يؤلف بينهم ، أو غرض اتفق لك فى الكتابة عنهم ؛ أم هى أشتات من الشخصيات لا يؤلف بينها غرض ولا يجمع بينها إلا كلمة الفلسفة ؟ ؟

ولا يزال (ميزانك) يا أخى فى تقديم الكتاب وحفظ النسب بين فصوله فيه كثير من السخاء فى موضع ، والشح فى موضع . فإن الفصل الذى كتبته عن آثار الفلسفة الإسلامية فى الفلسفة المسيحية واليهودية لا يشفى غليلا . فقد أوجزتَ فيه إلى حد لا تغفره لك عربيتك وإسلامك ، ولا يغفره لك الإنصاف العلمى التاريخى ، على الرغم من إعلانك أنك لا تنتحل الأسباب للاشادة بفضل المسلمين على غير حق . فقد كتبته فى صفحتين ونصف صفحة على حين خصصتَ « ديكارت » بأربعين صفحة من الكتاب .

وما كنتَ يا أخى منصفاً للعرب حين قلتَ فى هذا الفصل « ولعل أسبينوزا عرف شيئاً من نظريات العرب عن طريق موسى ابن ميمون » . وإيراد الخبر على هذا الأسلوب يورده موارد الشك على حين أن Will Durant يورده مورد اليقين فى كتابه : "The Story of Philosophy" (١)

ولقد ذكرت يا أخى أن « هيوم » نشر كتابه « رسالة فى الطبيعة البشرية » سنة ١٧٤٠ . وليس الحق كله معك فى هذا ... فإن « الطبيعة البشرية » ظهرت فى يناير سنة ١٧٣٩ فى مجلدين ؛ أما الذى نشر سنة ١٧٤٠ فهو المجلد الثالث وموضوعه مبادىء الأخلاق .

وذكرت أن « هيوم » بعد رحلته فى فرنسا عاد إلى أدنبره فقضى فيها آخر سنى حياته . وهنا طفرة فى التاريخ لا أظنها خفيت على علمك . فقد عاد من فرنسا إلى أدنبره — كما تقول — ولكنه تركها إلى لندن موظفاً كبيراً فى وزارة الخارجية فقضى فيها سنتين ثم استقر آخر الأمر فى أدنبره سنة ١٧٦٩ (٢)

أما السياسة عند ابن سينا وكتابه فيها فلم تتعرض لها ولا له ! ! وأنا أعرفك يا أخى بعيداً عن السياسة المصرية بطبيعة وظيفتك وطبيعة نفسك التى ترسل الابتسامة المرة لما تقع عليه من أمورنا ... ولكن سياسة ابن سينا يا أخى تستحق الأعجاب ولا تستحق مرير الابتسامات . وقد كتب عنها الأب بولس مسعد فصلا لطيفاً فى كتابه الصغير عن « ابن سينا الفيلسوف » (٣)

وبالرغم مما ذكرته لك فأن كتابك قد ترك فى نفسى الأثر الطيب الذى تتركه عندى آثارك . وقد نزل من مكتبتى المنزلة التى أنت أعرف الناس بها . فأهنئك على كتابك وأهنئك على جهدك فى الجمعية الفلسفية التى وقعت أعمالها من نفوسنا مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

(١) ص ١٦٢ طبعة Simon and Schustet نيويورك .
(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة David Hume
(٣) مطبعة الاتحاد على السور بيروت سنة ١٩٣٧